

ولكن إذا كانت الإشارة الحركية - الصوتية لصيقة الصلة بالمحسنوس البرآني والجواني ، فذلك لأن البرنامج والعمل الفكريين كانا لا يزالان لصيقين به . وبناء البرنامج الفكري والعمل الفكري ، وباستيعاب البرنامج الفكري للعمل والإنتاج الفكريين ، أصبح الفكر الإنساني يمتلك بعداً آخر : فبدلاً من كون العبارة الصوتية عبارة الشيء ، فقد أصبحت عبارة ذاتها وعبارة أفكار الإنسان عنها . وبهذا صارت الكلمة كصوت تبتعد في دلالتها عن المدلول الطبيعي لتعبر المدلول المفهومي (الشيء في أبعاده الفحوية الوعيبية) ، وتحولت بالتالي عن ارتباطها بالبنية الخارجية المحسوسة لترتبط بالبنية الذهنية الحاصلة ، بدرجة أكبر ، من الحياة الاجتماعية ، وبدرجة أقل هذه المرة ، من معايشة الطبيعة المصوتة والتعبير الحكبي اللصيق بأصواتها كمدلولات حقيقية لا مجازية .

هكذا صار الكلام هو الصوت الطبيعي الأقوى الذي يسمعه الإنسان الراهن مقروناً بمدلوله الصناعي ، شيئاً كان أم فكرياً . فبدلاً من تعلم لغات الحيوانات والطيور لصيدها أو تدجينها ، وبدلاً من تعلم لغات الأشياء للتفاهم بشأنها قدر الحاجة إليها ، وبدلاً من تعلم لغات الأطفال لتغذيتهم وحمايتهم والسيطرة عليهم ، وبدلاً من تعلم اللغة الإنسانية التي هي لغة تلك اللغات يومها ، بدلاً من كل هذا صار الصغير والكبير متسا يتعلم تقريباً فقط لغة الجماعة التي نولد فيها ونربو ، والتي صارت لغة إنسانية - إنسانية ، بعد أن كانت إنسانية - حيوانية - شبيهة ، بقدر ما كانت إنسانية - إنسانية أو أكثر . ولم تصل إلى هذا المستوى لولم يتمكن الإنسان من إنتاج وسائل يتعاطى بها ولا يكلمها (بل يكالم آخر بشأنها) ، وصار في إمكانه أن يحكم الكائنات الطبيعية المصوتة دون أن يكلمها ويتفاهم معها ، صار الإنسان هو الناطق وهو السامع بعد أن كانت الطبيعة ناطقة وسامعة ترسل إليه ويرسل إليها ، وتستقبل رسالته ويستقبل رسالتها . لقد